خالطه مما يزيل طهوريته وتنبيها على ان ظواهرهم لما كانت مما ينبغي ان
يطهروها فبواطنهم بذلك اولى لنحيي به بلدة ميتا بالنبات وتذكير ميتا لان
البلدة في معنى البلد ولانه غير جار على الفعل كسائر ابنية المبالغة
فاجري مجرى الجامد ونسقيه مما خلقنا انعاما واناسي كثيرا يعني اهل
البوادي الذين يعيشون بالحيا ولذلك نكر الانعام والاناسي وتخصيصهم
لان اهل المدن والقرى يقيمون بقرب الانهار والمنابع فبهم وبما حولهم
من الانعام غنية عن سقيا السما وسائر الحيوانات تبعد في طلب الما
فلا يعوزها الشرب غالبا مع ان مساق هذه الايات كما هو للدلالة على
عظيم القدرة فهو لتعداد انواع النعمة والانعام قنية الاناسي وعامة
منافعهم وعلية معايشهم منوطة بها ولذلك قدم سقيها على سقيهم
كما قدم عليها احيا الارض فانه سبب لحياتها وتعيشها وقرئ نسقيه
بالفتح وسقى واسقى لغتان وقيل اسقاه جعل له سقيا واناسي بحذف
ياء وهو جمع انسي او انسان كظرابي في ظربان على ان اصله اناسين فقلبت
النون ياء وادغم فيها الياء قبلها ولقد صرفناه بينهم صرفنا هذا القول بين الناس في القران وساير
الكتب او المطر بينهم في البلدان المختلفة والاوقات المتغايرة
والصفات المتفاوتة من وابل وطل وغيرهما وعن ابن عباس
رضي الله عنهما ما عام امطر من عام ولكن قسم ذلك بين عباده على ما شاء
وتلا هذه الاية او في الانهار والمنابع ليذكروا ليتفكروا ويعرفوا كمال القدرة وحق
النعمة في ذلك ويقوموا بشكره او ليعتبروا بالصرف عنهم واليهم فابى
اكثر الناس الا كفورا الا كفران النعمة وقلة الاكتراث لها او جحودها
بان يقولوا مطرنا بنوء كذا ومن لا يرى الامطار الا من الانواء كان كافرا
بخلاف من يرى انها من خلق الله والانواء وسائط وامارات بجعله
تعالى ولو شئنا لبعثنا في كل قرية نذيرا نبيا ينذر اهلها فيخف عليك
اعباء النبوة لكن قصرنا الامر عليك اجلالا لك وتعظيما لشانك وتفضيلا
لك على ساير الرسل فقابل ذلك بالثبات والاجتهاد في الدعوة واظهار الحق
فلا تطع الكافرين فيما يريدونك عليه وهو تهييج له وللمؤمنين وجاهدهم
به بالقران او بترك طاعتهم الذي يدل عليه فلا تطع والمعنى انهم يجتهدون
في ابطال حقك فقابلهم بالاجتهاد في مخالفتهم وازاحة باطلهم جهادا
كبيرا لان مجاهدة السفها بالحجج اكبر من مجاهدة الاعدا بالسيف او لان

مخالفتهم

٢٩٦

مخالفتهم ومعاداتهم فيما بين اظهرهم مع عتوهم وظهورهم او لانه جهاد مع كل الكفرة
لانه مبعوث الى كافة القرى وهو الذي مرج البحرين خلاهما متجاورين متلاصقين بحيث
لا يتمازجان من مرج دابته اذا خلاها هذا عذب فرات قامع للعطش من فرط
عذوبته وهذا ملح اجاج بليغ الملوحة وقرئ ملح على فعل ولعل اصله
مالح فخفف كبرد في بارد وجعل بينهما برزخا حاجزا من قدرته وحجرا محجورا
وتنافرا بليغا كان كلا منهما يقول للاخر ما يقوله المتعوذ عنه وقيل حدا محدودا
وذلك كدجلة تدخل البحر فتشقه فتجري في خلاله فراسخ لا يتغير طعمها وقيل المراد
بالبحر العذب النهر العظيم مثل النيل وبالبحر الملح البحر الكبير وبالبرزخ ما يحول بينهما
من الارض فتكون القدرة في الفصل واختلاف الصفة مع ان مقتضى طبيعة اجزا كل عنصر ان
تضامت وتلاصقت وتشابهت في الكيفية وهو الذي خلق من الما بشرا
يعني الذي خمر به طينة ادم او جعله جزا من مادة البشر ليجتمع ويسلس ويقبل
الاشكال والهيئات بسهولة او النطفة فجعله نسبا وصهرا اي قسمه قسمين
ذوي نسب اي ذكورا ينسب اليهم وذوات صهر اي اناثا يصاهر بهن كقوله
فجعل منه الزوجين الذكر والانثى وكان ربك قديرا حيث خلق من مادة واحدة بشرا ذا اعضا مختلفة وطباع متباعدة وجعله قسمين متقابلين وربما يخلق من نطفة واحدة توأمين ذكرا وانثى ويعبدون من دون الله
ما لا ينفعهم ولا يضرهم يعني الاصنام او كل ما عبد من دون الله اذ ما من مخلوق
يستقل بالنفع والضر وكان الكافر على ربه ظهيرا يظاهر الشيطان بالعداوة
والشرك والمراد بالكافر الجنس او ابو جهل وقيل هينا مهينا لا وقع له عنده من
قولهم ظهرت به اذا نبذته خلف ظهرك فيكون كقوله ولا يكلمهم الله ولا ينظر اليهم
وما ارسلناك الا مبشرا ونذيرا للمؤمنين والكافرين قل ما اسالكم عليه
على تبليغ الرسالة الذي يدل عليه الا مبشرا ونذيرا من اجر الا من شا الا فعل
من شا ان يتخذ الى ربه سبيلا ان يتقرب اليه ويطلب الزلفى عنده بالايمان والطاعة
فصور ذلك بصورة الاجر من حيث انه مقصود فعله واستثناه منه قلعا لشبهة
الطمع واظهارا لغاية الشفقة حيث اعتد بانتفاعك نفسك بالتعرض للثواب
والتخلص من العقاب اجرا وافيا مرضيا به مقصورا عليه واشعارا بان طاعتهم
تعود عليه بالثواب من حيث انها بدلالته وقيل الاستثنا منقطع معناه لكن من شا
ان يتخذ الى ربه سبيلا فليفعل وتوكل على الحي الذي لا يموت في
استكفاء شرورهم والاغنا عن اجورهم فانه الحقيق بان يتوكل عليه دون الاحيا
الذين يموتون فانهم اذا ماتوا ضاع من توكل عليهم وسبح بحمده ونزهه عن صفات
النقصان مثنيا عليه باوصاف الكمال طالبا لمزيد الانعام بالشكر على سوابغه وكفى

ودا فيتزوجم

Copyright © King Saud University